



ثلاث شخصيات

(008) سورة الأنفال

خطبة جمعة

2025-09-05

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

ملاحظة : النص تفرغ آلي سيتم إضافة النص بعد التنسيق قريبا

يا ربنا لك الحمد ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجدم منك الجد. وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له. عني كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفرغ كل ملهوف. فكيف نفتقر في غناك؟ وكيف نضل في هداك؟ وكيف ندل في عزك؟ وكيف نضام في سلطانك؟ وكيف نخشى غيرك والامر كله اليك. وأشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله. أرسلته رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جرى نبيّا عن أمته. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد. وعلى أزواج سيدنا محمد. وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليما كثيرا. وبعد. أيها الأخوة الكرام. فان الانسان أي انسان له شخصيات ثلاث. هي شخصيات يكره ان يكونها، وشخصية يكره ان يكونها، وشخصية يرحو ان يكونها.

أما الشخصية التي يكونها فهي انا وانت على ما فيها من ايجابيات وسلبيات، ومن خير وشر، من قوة وضعف. وكل ما يعرف شخصيته ويجب ان يراجع ويحاسب نفسه دائما. فإذا سألتك مثلا من انت؟ ما الشخصية التي انت عليها؟ ماذا تحب في شخصيتك؟ لعل قائلا يقول لي احب انني لا تقوتني صلاة الفجر في جماعة. احب انني لا اكدب ولا اغش الناس. فإذا سألته هو السلبيات. ربما قال لي في شخصيتي سلبية. انني شديد الغضب. استغفرت واستنار بسرعة ثم اندم على ما كان مني. هذه الشخصية هي انت وانا بما نحن عليه من ايجابيات. يجب ان ننميتها ونقوها وسلبيات. علينا ان نسعي لتجاوزها. وهذه ما تسمى المراجعات. ان يراجع الانسان نفسه دائما فيمنى جوانب الخير ويتلافى مواضع القصور في شخصيته. وأما الشخصية التي يكره الانسان ان يكونها. فلكل شخصية يكره ان يكونها. فلو سألتك الان او قلت لك اسم هذا التين الذي يعيش في ارض فلسطين فسادا. لا استغفرت فسادا. وقلت لي دعني من هذا الائم. فانا اكره هذه الشخصية التي تريد ان تبني امجادها على انقاض اهل غزة. ولو ذكرت لك شخصية من الشخصيات المجرمة في النظام ايراني لقلت لي انني اكره هذا الشخص.

اكره نمطه في الحياة. اكره إجرامه وبطشه. اكره لحيته. اكره ما فعله. هذا شخصية يكره ان تكونها. تقول لي اكره المنافق الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه. اكره الخائن. اكره الكاذب. ولربما يأتي غيرك ممن ليسوا من رواد المساجد. فيقول عن منافق تبت نفاقه. احبه. أحب لبقائه. أحب قدرته. بدمواسيته. ربما. فالذي تكرهه أنت قد يحبه غيرك. هذه طبيعة النفس. اما الشخصية التي نرجو ان تكونها فهي الاسوة. وهي القدوة. فلكل منا طموحه. فهو يريد ان يكون شخصية ما يسعى للوصول اليها. ربما يتزعم بذكرها. ربما يصف ما بها مما يحده خيرا. ربما يسعى جهده ويربي اولاده ليكونوا مثلها. هذه الشخصية التي نرجو ان تكونها. يعبر عنها المثل الاعلى بالقدوة. بالطموح. وعبر عنها القرآن الكريم. بالأسوة. ان يتأسى الانسان برجل ما ان تتأسى المرأة بصحابي ما هذه هي الاسوة. واليوم ايها الكرام مع تورة التواصل الاجتماعي الذي يسمى زورا تواصلا وهو في الحقيقة تقاطع مع هذه الثورة. انتجت اصوات وقذوات لأجائنا وابنائنا لا تمت لدينا صلة، بل لا تمت إلى القيم صلة، بل لا تمت إلى العلم والمعرفة صلة.

فاليوم قد تسأل شابا صغيرا ما حلمك ان تكون في المستقبل يقول لك كل رياضي لاعب الرياضة فلان وفلان. ما الذي صنعته؟ ادخل في تاريخه الكروي مائة هدف او اكثر او اقل. ويتأسى به، ويتحرك بحركاته، ويلبس ثيابا يضع صورته عليها يتأسى به، فلكل انسان شخصية يرحو ان يكونها، ولا ابالغ ان قلت لك لي ما الشخصية التي نرجو ان تكونها اقل لك من انت. فانت شخصيتك التي تريد ان تكونها هي في الحقيقة انت لانك تسعى اليها لعلك لا تلبغها. لكن سعيك لها جعلك واباها شيئا واحدا. مرة ايها الكرام. وهذه القصة قبل عشرين سنة كنت في هذا المسجد وجاء رجل من الانثريا بانه الصغير. قال لي هذا الطفل اريد ان اعلمه اللغة العربية. لانه في مدرسة اجنبية لا يعلمونه العربية. انتر والده ان يضعه في مدرسة اجنبية تعطيه اللغة الانجليزية بطلاقة. لكنه لم يعلمه اللغة ولا القرآن. جلس الطفل. احببت ان اتقرب اليه ليجب المسجد واهل المسجد. قلت له ما اسمك؟ قال لي اسمي قمر. قلت له عمر في اللغة العربية عندنا حرف اسمه العين. تقول عمر. قال عمر حاولت ان يلفظ العين فما استطاع الى ذلك سبيلا.

قلت دعه وشأنه. قلت له اتدري لماذا سماك والدك عمر كم يحبك والدك سماك هذا الاسم العظيم. اتدري من عمر؟ قال نعم ادري. قلت له تفضل. فذكر لي اسم فتان من الفنانين لا اريد ان اعكر المنبر بذكر اسمه. اسمه الاول عمر. فالشخصية التي يبرد الانسان ان يكونها تبني شخصيته هو. ايها الاخوة الكرام. يقول تعالى. لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا. من الذي يكون له في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة. ذلك الذي. يجب ان الله تعالى ويرجو الله. ويرجو اليوم الآخر. اما الذين يرجون الدنيا ويرجون لقاء ملوك الدنيا واهل الدنيا فلن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة لهم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصل الى الله يوصل الى الجنة. اما من يعيش الدنيا فحسب فلن يكون له في رسول الله اسوة حسنة. انظر الى التعبير القراءني العظيم. قال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا. فمن يداوم على الصلة بالله يجب الله. يرجو لقاء الله.

يرجو جنة الله. لن يسعده ولن يطمح الا ان يكون قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم. ايها الاخوة الكرام. وحتى تتحقق الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم. حتى تتحقق الاسوة به كان هناك امران مهمان. الاول انه بشر. فلو كان ملكا صلى الله عليه وسلم من الملائكة ملائكة السماء لما استطعنا ان نقفدي به. ولو قال قائل كيف تتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ هو ملك لا بغضب، لا يشتهي، لا يحب النساء، لا يحب المال، اما نحن بشر. قال تعالى. قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنا بشر مثلكم. يقول صلى الله عليه وسلم انما أنا بشر ارضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر لانه بشر وانتصر على بشرته. كان سيد البشر فصح الاقتداء به. هذا الامر الاول في التأسى به. الامر الثاني وهو مهم جدا ان النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف معظم البشر من عليه في حياته من صنوف الابتلاءات ما لم يمر على بشر. حتى إذا كنت في أي موقف وجدت لك في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة. قل لي انا غني عندي مال. اقولك لك في رسول الله اسوة حسنة فقد كان غنيا صلى الله عليه وسلم.

قل لي. انا فقير. اقول لك لك في رسول الله اسوة حسنة. فقد مر بمرحلة فيها فقر صلى الله عليه وسلم. قل لي انا قوي انا ضعيف. ستجد في سيرة رسول الله اسوة حسنة وقد سميت هذا الامر مجازا. الاعجاز في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. لن تجد بشرا في ثلاث وستين سنة في حياته كاملة وفي ثلاث وعشرين سنة بعد البعثة، وهي بعني المحخصة تحديدا للتأسى به، ان تجد بشرا مر عليه من صنوف المواقف الحياتية كما مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتجد لك اسوة في كل شيء يمر بك. ايها الاخوة الكرام. النبي صلى الله عليه وسلم ذاق مرارة الفقر، يقول صلى الله عليه وسلم لقد أخفت في الله وما يخاف في الله ولا يؤذي أحد. ولقد أدبته على التأسى في كل يوم ولبلة ثلاثين يوما ولبلة رضي الله عنه. بلال. هنيئا لك يا بلال ان يذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه انه غابى الجوع معه، وبعد ذلك لا بأس عليه، فإذا كان يعاني الجوع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أحلى الجوع!

ومضى على ثلاثون من بين يوم ولبلة. وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه ببط بالال. كسرة خبز يضعها بلال تحت ابطه يأكلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهل مر أحد بموقف كموقف رسول الله في الفقر لك فيه اسوة حسنة؟ وبالمناسبة رسول الله صلى الله عليه وسلم استعاذ من الفقر ولم يعيش حياته كلها كما يقول البعض فقيرا ولا دعى الى الفقر. لكن لو انه اضطر ان لا يجد شيئا فلنا فيه اسوة حسنة. ثم فتح الله الفتوحات على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءه من المال ما جاءه. فكيف يتأسى الأغنياء به؟ جاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين. قطع غنم كبير. فرجع إلى قومه فقال أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة. أي الفقر يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة فالغني له في رسول الله اسوة حسنة في الضعف. في الضعف في الطائف. يقول صلى الله عليه وسلم بعد ان ذهب إلى الطائف ودعا أهلها الى الاسلام فما كان منهم الا ان أغروا به صبيانهم وسفنهاتهم فرموا بالحجارة حتى دमित قدمه الشريف الشريف صلى الله عليه وسلم يقول وأصفا حاله. فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق من همي وغمي إلا وأنا بقرن النعالب.

جبل بين مكة والطائف. فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني. فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال يا محمد ان الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله ملك الجبال لتأمره بما شئت منهم، فناداه ملك الجبال فسلم عليه ثم قال يا محمد أنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت. كم هو عزيز رسول الله صلى الله عليه وسلم على ربه. يرسل له الملك ليأمره بما يشاء لينفذ. قال لو شئت لأطيق عليهم الأخشيين الجبال. وتنتهي الطائف الى غير رجعة. مكته الله وهو في قمة ضعفه من الانتقام منهم وبامر الله وبواسطة ملك الجبال مكته الله منهم. فمادا قال صلى الله عليه وسلم؟ قال بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا. وهذا ما كان. فإذا ذهبت الى الطائف اليوم سمعت الاذان والتقيت بالمسلمين المصلين الصائمين العابدين لله تعالى يوحده ولا يشركون به شيئا. مكته من الانتقام وهو في ضعفه. فكان هذا موقفه. فكل ضعيف له في رسول الله اسوة حسنة. لا تقل أوديت من انت امام رسول الله. قد أودى رسول الله أكثر منك.

وأوديت في الله وما يؤذي أحد. اما القوة فلها شأن آخر. قيل القوة. وفي الضعف ايضا. في احد. في معركة احد. كسرت رعايته صلى الله عليه وسلم اسنانه. وجرح وجهه وهشمت. بيضته الخوذة التي يضعها على راسه. ثم يقول بعد ذلك. اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون. اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون. قومه ما تخلى عنهم. ما قال اللهم اغفر لهؤلاء. قال لقومي فانهم لا يعلمون. اعتذر عنهم. اما في القوة فيوم فتح مكة رجع الى مكة التي أخرجته وأخذته ونكلت بأصحابه ولم تترك شأنا من الشؤون التي تنال منه الا وفعلته. رجع اليها بعزة المنتصر فكيف دخل صلى الله عليه وسلم وهو في قمة القوة؟ دخل مطاطي الرأس. حتى ان لحيته مسبت وسط رجلي من شدة انهم لم يتعالى. ثم جعل يقول من دخل دار أبي سفيان فهو امن. ومن دخل المسجد فهو امن. ومن اغلق بابه فهو امن. هذا في ضعفه وذاك في قوته. يتأسى به الضعيف ويتأسى به القوي. ذاق فقد الولد بابي هو وامي. فمن فقد حبيبا او قريبا او ولدا او شيئا يحبه فله في رسول الله اسوة حسنة.

ان العين تدمع والقلب يحزن ولا تقول الا ما يرضي ربنا وإنا لفرقاك يا إبراهيم لمحزونون. شاء الله تعالى. شاء الله تعالى ان تنكشف الشمس. عند وفاة ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم. والنبي صلى الله عليه وسلم في حزنه والناس يقولون انما كسفت الشمس لموت ابراهيم. فمادا فعل صلى الله عليه وسلم؟ ارتقى المنبر وهو في حزنه وقال ايها الناس ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته. فإذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا حتى يكشف الله ما بكم. تكلم الناس في عرض زوجته. هل جربها احد؟ ابعد الله عنكم وعننا كل مكروه. اصعب شيء السمعة. الزوجة يسمع كلام الناس في المدينة يتحدثون عن عرض امنا الطاهرة المبرأة عائشة رضي الله عنها ولعن كل من يبغضها. يسمع الكلام وهو يدخل مهموما الى البيت. فمادا فعل؟ هل هاجم زوجته؟ ما الذي فعله صلى الله عليه وسلم؟ بقي ينتظر الحقيقة ثم يدخل على زوجته. وأسمعوا إلى هذا الكلام. يقول إن كنت بريئة فسيبرك الله. وإن كنت ألممت بذنب. انظر الى لطف العبارة. وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبى إليه. ثم انزل الله ان الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير. ذاق هذا الامر العظيم فوقف منه الموقف الاكمل.

فإذا أسأل الله ان يصرف عنا كل ذلك مس انسان في سمعته او عرضه فله في رسول الله اسوة. والحسن الحصار حوصر اشد من السجن ثلاث سنوات حصار. حاصرت قريش النبي صلى الله عليه وسلم ومنعت عنهم الطعام والشراب وكل ما يحتاجونه. وعظم الامر واشتد حتى أكلوا ورق الشجر وورق الشجر يأكلونه، وكان صباح الصبيان يسبع من وراء الشعب. حتى قام رجل يدعى زهير ابن امية المخزومي، فجمع بعض الناس ووقف وقال يا اهل مكة نأكل الطعام ونلبس الثياب. ونحو هاشم هلكنى لا بيع ولا يتناغ منهم. والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الطاملة. هل من يقوم اليوم ممن ييدهم الامر ليقول نأكل الطعام ونلبس الثياب. واهل غزة محاصرون لا يأكلون ولا يشربون ولا يبيعون ولا يتناغون منهم. والله لا نقعد لهم ونوفر لهم الطعام والشراب. هذا جادل مشرك. زهير بن مخزوم. زهير بن أمية المخزومي مشرك. فهل من المسلمين اليوم من يفعلها؟ ممن يملكون القرار ممن يستطيعون ان يفعلوا؟ والله سيفقون جميعا بين يدي الله تعالى. كل من كان قادرا ويترك صباح الصبية يخرج لا من خلف الشعب ولكن من خلف الشاشات. ولا يفعل شيئا بل يتأمرون وينظرون هلاك هؤلاء المقاميين وحالهم.

اخرجوا هؤلاء من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون. لأهل غزة في رسول الله اسوة حسنة. عاش النبي صلى الله عليه وسلم حلالة الاصحاب الكرام. فأسر الى ابي بكر يوما يقول له ان الله اذن لي بالخروج والهجرة. فقال ابو بكر الصبية يا رسول الله؟ قال الصبية. قالت عائشة فوالله ما شعرت قط قبل ذلك ان احدا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي. ذاق حلالة الصبيان فحان خير صاحب. ذاق حلالة الزوجة الصالحة المومن. فكان خير وفيها ألم يدرك الله خيرا؟ بذلك الله خيرا؟ فقول لا والله. فقد واستنيت بمالها. وعاش عبادة الكافرين والمنافقين الذين لم يتبركوا طريقا للنيل منه الا فعلوه. عاش الحرب والسلام. الامن والخوف. السلامة والاذى. عاش حب المحبين وبعض المبغضين. عاش الغنى والفقر. الابتلاء والتمكين. القوة والضعف. حياة الزوجة وفقد الزوجة الاولاد وفقدهم غيرة الزوجات. ووفاء الزوجات. بابي هو وامي. عاش في حياته المواقف كلها. فكلما مر بك موقف. تذكر ان لك في رسول الله اسوة حسنة. فان كنت في خير وجدت في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كيف تكافئ هذا الخير. وان كنت في غير ذلك وجدت في سنة رسول الله وسيرته. كيف تصبر على هذا الامر وكيف تتعامل معه؟ حاسبا انفسكم قبل ان تحاسبوا. وزنا أعمالكم قبل أن توزن عليكم. واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا وسيتخطى غيرنا إلينا. فلتتخذ حذرنا. الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت. والعاجز من أتبع نفسه هواها. وتمنى على الله الاماني. واستغفر الله.